التسلط التربوي الأسري وعلاقته بإجرام الأحداث

– دراسة أنتروبولوجية-

Family educational authoritarianism and its relationship to juvenile criminality - Anthropological Approch -

عبد الباقي غفور*، زوبيدة بوزياني،

[1] جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر)، abdelbaki.ghaffour@univ-tlemcen.dz

[2] جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر)، zoubida.bouziani@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2021/11/08 تاريخ القبول: 2022/03/18 تاريخ النشر: 2022/06./06

ملخص:

هناك عوامل كثيرة تكون سببا في عمليات العجز والإحباط التي يعاني منها الطفل. وهي جميعها تتلخص في الأسباب التي تحُول دون تحقيق إشباع الحاجات الأساسية له مثل الحاجة إلى الحب والانتماء، والحاجة إلى الأمن والطمأنينة، والحاجة إلى التقدير والاحترام، والحاجة إلى المعرفة والفهم، والحاجة إلى الحرية، والحاجة إلى الضبط والتوجيه، والحاجة إلى اللعب...الخ.

ثم إن العلاقة بين الحاجة وإشباعها علاقة ديناميكية، بمعنى أنه إذا حدث النقص أو الحاجة ولم يتم الإشباع، يبقى الفرد متوترا حتى يتم الإشباع الذي يحقق له الرضا والتوافق والاستقرار النفسيين، وإذا لم يتم هذا الإشباع يُصاب الفرد بالحرمان والفشل وسوء التوافق، فيتجه بذلك إلى إشباع حاجاته بطرق غير سوية تصل به إلى حد الإجرام.

ويمكن أن تكون الأسرة بأسلوبها التربوي المتسلط مصدرا من مصادر العجز والإحباط بالنسبة إلى الطفل، إذ أن التربية علم وفن.

كلمات مفتاحية: التسلط، التربية، الأسرة، الجريمة، الحدث.

Abstract:

There are many factors that cause disability and frustration that the child suffers from. They are all summed up in the reasons that prevent the fulfillment of his basic needs, such as

* المؤلف المرسل: عبد الباقي غفور

the need for love and belonging, the need for security and tranquility, the need for appreciation and respect, the need for knowledge and understanding, the need for freedom, the need for play, etc., and the need for discipline. .

The relationship between need and its satisfaction is a dynamic relationship in the sense that any need that is not satisfied partially or totally necessarily leads to disturbances in the child. These do not stop until the felt needs are met, providing the subject with feelings of psychological agreement, satisfaction and stability.

Otherwise, the child deprived of his needs will try to achieve his goals by inappropriate means. He can go as far as a crime.

Also, the family unit with its repressive education system can be at the origin of the handicap and the frustration of the child; that education is a science and an art.

Keywords: authoritarianism, parenting, family, crime, event.

1. مقدمة:

اعتقد الإنسان القديم بوجود أرواح شريرة تتقمص روح المجرم وتدفعه إلى ارتكاب الجريمة. وفي تطور لاحق كانت الجريمة تعبّر عن غضب الآلهة. أما عند الفلاسفة اليونان القدامى، فقد ربط بعضهم بين الجريمة والكواكب، وقالوا إن مصير الإنسان ومستقبله معلّق على الكوكب الذي كان متسلطا عليه عند ولادته، طيبا كان أو نحسا، علما أن كواكب المجرمين كلها نحسات. إلا أن هذا التفسير الفلسفي للنزعات العدوانية لدى الأفراد لا يجد ما يبرره في نتائج الدراسات الحديثة لعلم النفس، فهذه النتائج تؤكد أن العدوان ينشأ بسبب عمليات العجز والإحباط التي تحيط بالفرد أو بسبب عمليات الإذلال، بحيث يصبح السلوك العدواني وسيلة يلجأ إليها الفرد لخفض التوتر النفسي الناشئ عن هذه العمليات كما لو كان يقوم بعملية دفاع عن النفس أو رد الاعتبار للذات.

وهناك عوامل كثيرة تكون سببا في عمليات العجز والإحباط التي يعاني منها الطفل وهي جميعها تتلخص في الأسباب التي تحول دون تحقيق إشباع الحاجات الأساسية له مثل:

الطعام والراحة، الأمن والطمأنينة، الحب والانتماء، التقدير والاحترام، المعرفة والفهم، الحرية وتحقيق الذات، الضبط، التوجيه واللعب ... الخ.

ويمكن أن تكون الأسرة بأسلوبها التربوي المتسلط مصدرا من مصادر العجز والإحباط بالنسبة إلى الطفل، إذا ما سلكت سلوكيات قاسية غير متبصرة بحاجاته الأساسية، على اعتبار أن التربية علم وفن.

2. مشكلة الدراسة:

إن عامل التسلط التربوي بات يشكل انعكاسا لقضايا اجتماعية متعددة ومتشابكة، مما يبرز الحاجة الملحة إلى دراسة منهجية، يمكن الوصول من خلالها للإجابة عن التساؤل التالي: هل يعتبر التسلط التربوي الممارس على الطفل في الأسرة عاملا مؤديا إلى الإجرام؟ خاصة إذا علمنا أنّ ما يتصف به الهرم السكاني في الوطن العربي ومن ضمنه الجزائر، قاعدة فتية تطرح مشكلة إجرام الأحداث وما يرتبط بها من صعوبات وانزلاقات للمجتمع، مما يجعلها ظاهرة اجتماعية تستدعي البحث والتقصي. وكإجابة على سؤال الدراسة، تمّت صياغة الفرضية العامة التالية: توجد علاقة ارتباطية ودالة إحصائيا عند 0.05 بين النمط التربوي الأسري وإجرام الأطفال. وجاءت الفرضيات الفرعية كالآتي:

– توجد علاقة ارتباطية ودالة إحصائيا عند 0.05 بين طريقة إرضاع الطفل وإجرامه.

– توجد علاقة ارتباطية ودالة إحصائيا عند 0.05 بين طريقة فطام الطفل وإجرامه.

– توجد علاقة ارتباطية ودالة إحصائيا عند 0.05 بين طريقة تدريب الطفل على التّخلص من الفضلات وإجرامه.

– توجد علاقة ارتباطية ودالة إحصائيا عند 0.05 بين طريقة لعب الطفل وإجرامه.

– توجد علاقة ارتباطية ودالة إحصائيا عند 0.05 بين طريقة تخويف الطفل وإجرامه.

– توجد علاقة ارتباطية ودالة إحصائيا عند 0.05 بين تطلعات الوالدين الملحَة من الطفل وإجرامه.

– توجد علاقة ارتباطية ودالة إحصائيا عند 0.05 بين النَمط التربوي للطفل وإجرامه.

– توجد علاقة ارتباطية ودالة إحصائيا عند 0.05 بين مستوى الصحة النفسية لدى الطفل وإجرامه.

3. أهمية الدراسة:

- تتناول قضية نفسية وتربوية وتكيفية على جانب كبير من الخطورة تتعلق بنمو شخصية الأطفال.

- تعمل على إبراز ما للطفولة كمرحلة نمو نفسي من الأهمية بالنسبة لمراحل النمو المقبلة، من حيث أنها الأساس الذي تبنى عليه جميع مكوّنات الشخصية في بقية المراحل.

4. أهداف الدراسة:

- تحديد العلاقة بين التسلط التربوي الأسري وإجرام الاحداث.

- الوقوف على مدى أهمية التربية باعتبارها فنا وعلما ينبغي الإحاطة بهما، بعيدا عن الارتجال والتجريب.

- تحسيس الآباء وكل من يقوم بتربية الأطفال إلى خطر التسلط في مرحلة الطفولة على تكوين الشخصية في الكبر.

5. مصطلحات الدراسة:

1.5. التسلط التربوي: هو: "تقنية من تقنيات تشكيل السلوك، تتوجه إلى تحقيق أهداف متناقضة مع مقتضيات نمو الطفل، وتستخدم هذه التقنية أساليب مؤلمة في ضبط السلوك، وتؤدي إلى تكوين شخصية غير فاعلة على المستوى الإجرائي، وغير متوازنة على المستوى النفسي". (وطفة، 1999، صفحة 137)

ومما تجدر الإشارة إليه أنه كثيرا ما يتداخل مفهوم السلطة مع مفهوم التسلط. فالسلطة ظاهرة طبيعية ضرورية للحياة الاجتماعية والتربوية، أما التسلط فهو الإفراط السلبي في ممارسة السلطة. ويعني ذلك استخدام أساليب القمع والإكراه وأساليب العنف الرمزي في السيطرة على الآخر من أجل مجرد إخضاعه. فالسلطة تسعى إلى تنظيم الحياة وضبطها وتوجيهها، بينما يسعى التسلط إلى مجرد الهيمنة والسيطرة.

2.5. الجريمة: يستعمل لفظ الجريمة أو الإجرام في اللغة لوصف السلوك الذي يحيد عن قواعد الضبط الاجتماعي الرسمي وغير الرسمي. فالجريمة هي: "السلوك الذي تجرّمه الدولة

لما يترتب عليه من ضرر على المجتمع، والذي تتدخل لمنعه بعقاب مرتكبيه". (الصنيع، 1419، صفحة 149) وهكذا نخلص إلى أن الجريمة عمل غير مقبول في المجتمع، وقد وضع له نص عقوبة حيال من يقوم به.

3.5. الحدث:"الحدث بالمفهوم الاجتماعي هو الصغير منذ ولادته حتى يتم نضجه الاجتماعي وتتكامل لديه عناصر الرشد المتمثلة في الإدراك التام". (صالح وزهري،1996،صفحة 212)

أما الحدث في التشريع الجزائري فهو ذلك الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد الجزائي، وذلك يوم ارتكاب الجريمة لا يوم المحاكمة؛ فقانون الإجراءات الجزائية نص في المادة 442 منه: "يكون البلوغ الجزائي في تمام الثامنة عشرة سنة". فالمشرع الجزائري لم يحدد السن الأدنى لمرحلة الحداثة استنادا على موقف المشرع الفرنسي الذي أخذ بفكرة النضج الاجتماعي الذي يؤدي إلى رشد الحدث، وقلّما يصل إلى هذه المرتبة قبل بلوغ 18 سنة.

4.5. التربية: يعرّفها "ماكس فيبر" بأنها: "وسيلة من وسائل الهيمنة الاجتماعية". (جواد رضا، 1993، صفحة 26) فهي أداة من أدوات السيطرة الاجتماعية التي يملكها المجتمع، وقد تكون الهيمنة من أجل التقدم والحركية، أو تكون من أجل المحافظة والركود.

5.5. الأسرة: الأسرة هي الوحدة الأولى في بناء المجتمع التي تكون العلاقات فيها مباشرة، ويتم من خلالها تنشئة الفرد اجتماعيا، ويكسب منها الفرد الكثير من معارفه ومهاراته وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه.

6. الدراسات السابقة:

1.6. دراسة الباحثة الأنتروبولوجية الأمريكية "مارغريت ميد" التي أجريت في جنوب شرق آسيا في غينيا الجديدة، والتي عرضت نتائجها في كتابها المشهور "الجنس والطبائع في ثلاث مجتمعات بدائية" الأهمية الكبيرة للعلاقة الجوهرية التي تربط بين الطابع وبين أسلوب التنشئة الاجتماعية أثناء مرحلة الطفولة المبكرة. وتبين دراسة "ميد" مدى تأثير أسلوب التربية في بناء شخصيات عدوانية أو متسامحة. (وطفة، 1999، صفحة 68)

2.6.دراسة أنتروبولوجية تناولت سبعة وأربعون ثقافة أوروبية مختلفة بالدراسة، وتوصلت إلى أن هناك تسعة خصائص أساسية تعززها التربية المتسامحة، تقابلها تسعة خصائص تعززها التربية المتسلطة منها: النزعة الاجتماعية والميل إلى العزلة، المواظبة والإحباط، ضبط

الذات والاضطرابات الانفعالية، المودة والعداوة، الإحسان بالأمن والإحساس بالقلق. (وطفة، 1999، صفحة 69)

3.6. وفي دراسة حول أطفال مدرسة الحضانة، تبين أن الأطفال الذين يعيشون داخل أسرة متسلطة يظهرون مزيدا من السلبية وقليلا من روح المنافسة، ويعانون إلى جانب السلبية من إنخفاض في مستوى الطموح والمودة والمحبة والقدرة على التكيف بسهولة مع الآخرين؛ وعلى خلاف ذلك، فأطفال الأسرة المتسامحة كانوا أكثر نشاطا وفعالية وأكثر تنافسا وأكثر أهمية. (وطفة، 1999، صفحة 76)

4.6. وفي دراسة شملت 55 ذكرا و 42 أنثى من الكويت، تراوحت أعمارهم ما بين 18- 32 سنة، وجدت إرتباطات موجبة ودالة إحصائيا بين التعرض للإساءة في الطفولة وكل من القلق والاكتئاب وإضطراب الشخصية في الرشد. (معمرية، 2007، صفحة 16)

5.6. وتشير إحدى الدراسات التي أجريت على أطفال سجنوا أكثر من مرة، إلى أن الأكثرية الساحقة من هؤلاء الأطفال هم هؤلاء الذين تربوا وعاشوا في أحضان أسرة متسلطة. وفي هذا الخصوص يمكن الإشارة إلى كتاب عالمي النفس في مدرسة "هارفرد"، "شلدون" (Sheldon) و"إلينور" (Eleanor) حول الانحرافات الشبابية، حيث يقول المؤلفان بصدد العدوانية واتجاهات الآباء التسلطية والتسامحية: "ترتبط عمليات النمو وعلى نحو واسع مع مسألة توجيه الأطفال على أسس تسلطية تحيط بهم، ويجب على هؤلاء الذين يعتنون بالأطفال أن يدركوا جيدا أن الحرية النسبية والجاجة إلى التوجيه في الوقت نفسه، مسألة جوهرية ضرورية من أجل نضج الطفل وتكامله. (وطفة، 1999، صفحة 82)

7. منهج الدراسة:

لقد تمّت الاستعانة بالمنهج الوصفي بأسلوبي المقارنة بين العينتين (الأطفال الجانحين وغير الجانحين)، والارتباط بين المتغيرات، وتمّ استخلاص نتائج هذه الدراسة باستخدام الأساليب والمعالجات الإحصائية حسب ما تقتضيه كل فرضية.

حيث تمّ اعتماد معامل الارتباط الثنائي (رث) للتأكد من صحة الفرضية الثامنة المتعلقة بدراسة العلاقة الارتباطية بين مستوى الصحة النفسية لدى الطفل ومتغير الإجرام. فمتغير الفرضية المستقل أي (مستوى الصحة النفسية لدى الطفل) هنا يحتوي

على قيم حقيقية متصلة تقيس درجات الصحة النفسية، أما المتغير التابع فيحتوي على فئتين مستقلتين هما: فئة الأحداث المجرمين وفئة الأحداث غير المجرمين.

أما معامل الارتباط للتوافقِ ©، فقد تمّ اعتماده للتأكد من مدى صحة الفرضيات السبعة الأولى، وذلك بدراسة العلاقة الارتباطية بين متغيراتها المستقلة والمتغير التابع، حيث أن المتغيرات المستقلة تحتوي على تكرارات يتم تحديدها عن طريق استمارة جمع المعلومات التي تم توزيعها. أما المتغير التابع (إجرام الأحداث) فيحتوي على فئتين مستقلتين: الأحداث المجرمين والأحداث غير المجرمين.

8. مظاهر التسلط التربوي في الأسرة:

إن التربية لدينا تنطلق من مبادئ تربوية تتناقض بدرجة كبرى مع القيم والمبادئ التربوية الحديثة التي تستند إلى معطيات علم النفس وعلم التربية، إذ لا زال ينظر إلى الطفل على أنه راشد صغير يدرك ما يدركه الراشدون وبالتالي فالعقوبة واجبة في حقه. ولا زال يعتقد أن الطفل ينطوي على نزعة شريرة منغرسة في فطرته، وأنه يجب على التربية العمل على استئصالها بسلسلة من عمليات الإكراه والقسر والتسلّط والضرب والازدراء. الأمر الذي قد يقتل في الأطفال كل معاني التلقائية والإبداع والعطاء. ويُمكننا التعرض لبعض مظاهر التسلط التربوي الأسري في مرحلة الطفولة المبكرة فيما يلي:

1.8 الرضاعة والفطام: ينصب اهتمام الطفل خلال الأشهر الأولى من ولادته على ما يُشبعه، أي لبن الأم. ويجد الطفل في الرضاعة وهو ملتصق بصدر أمه لذة كبرى ترتبط بالحب والشعور بالأمن. لذا تعتبر الرضاعة عملية جسمية ونفسية، تستدعي ضرورة تولي الأم إرضاع طفلها من ثديها ما دامت قادرة على ذلك. ثم إن احتضان الأم لطفلها والنظر إلى عينيه أثناء الرضاعة هي التي تقوي الرابطة بينهما، وأن حرمانه من دفء صدرها قد يؤدي إلى أطفال أقل توافقاً. كما أن حجب الثدي في حالة الفطام يرتبط في ذهن الطفل بسحب اللذة والحب ويُشعره بالحرمان، ومن الضروري أن تتم هذه العملية تدريجيا، أي أن تحل الوسائل

الأخرى في التغذية محل الرضاعة شيئا فشيئا. إلا أن بعض الأمهات قد اعتدن قطع عملية الرضاعة فجأة وإجبار أطفالهن على تناول الغذاء، وقد يلجأن إلى وضع أشياء مرة وكريهة على حلمة الثدي يعافها الرضيع، بغية تنفيره نهائيا منه. وقد لا تدري هؤلاء الأمهات أن هذا الصنيع قد يسبب لأطفالهن صدمة نفسية حينما يجدون أنفسهم قد فقدوا فجأة مصدر الغذاء والحنان، ثدي الأم.

ويرى أصحاب مدرسة التحليل النفسي أن: "شعور الطفل بالحنان أو بالرفض يتأتى من خلال عملية الرضاعة والفطام، فقسوة المعاملة أثناءهما تولد لديه القلق ويكون الحرمان أساسا للتثبيت (Fixation) على المرحلة الفمية، وينعكس ذلك على ظهور خصائص في شخصيته مستقبلا مثل البخل والشك والتشاؤم أو انقباض النفس؛ وحينما يُصاحب رضاعة الطفل الاسترخاء والإشباع إلى الحد المناسب، فأن شخصيته مستقبلا تتسم بالاجتماعية والتفاؤل". (سيد و الشربيني، 1998، صفحة 194)

2.8 <u>التدريب على التخلص من الفضلات</u>: إن الأساليب القاسية التي تتبعها الأم في تدريب الطفل على التخلص من الفضلات تؤثر على شخصيته. فالتدريب المبكر والقاسي يجعل من الطفل شخصا خجولا، مترددا، لا يشعر بالمسؤولية والتنظيم، ويعمّق بداخله مشاعر السلبية نحو ذاته، كونه فشل في تلبية طلبات أمه، فيعتقد أنه غير نظيف وغير مرغوب فيه، فينعكس ذلك على مراحل نموه اللاحقة. إضافة إلى إظهاره لمشاعر عدوانية تجاه أمه، تظهر في العناد والتمرد والتغوط في أوقات حرجة بالنسبة لها. ويُشير "فرويد" إلى: "وجود مزيج من الخصائص التي تشمل الاقتصاد والتقتير والشراهة والعناد والتمرد والخجل والإحساس بلذة عرضية إلى التبرز لدى أشخاص استُخدم معهم الأسلوب القسري في التدريب على التخلص من الفضلات". (سيد و الشربيني، 1998، صفحة 312)

ولقد بينت الدراسة التي أُجريت على 213 طفل مضطرب، تراوحت أعمارهم بين سنة و13 سنة، تم عرضهم على عيادة لتوجيه الأطفال بعد أن ظهرت عليهم أعراض من قبيل:

انحرافات سلوكية، اختلالات حركية، أعراض انفعالية مثل التردد والخوف الشديد من الفشل في المدرسة، على الرغم من التمتع بقدر كافٍ من الذكاء. "إن عملية التدريب على ضبط الإخراج فيما يزيد على نصف عدد الأطفال قد بُدِئ بها في وقت مبكر بدرجة زائدة عن الحد، أو أنها أُجريت باستخدام القهر والإجبار والإفراط في إشعار الطفل بالخزي والذنب، وبإتباع جدول إخراج صارم، أو الإكثار من وضع الطفل في المكان الخاص لقضاء الحاجة إلى درجة زائدة عن الحد". (سيد و الشربيني، 1998، صفحة 317)

3.8 اللعب: يمثل اللعب السلوك الذي من خلاله يُشبع الطفل كثيرا من حاجاته، ويحقق العديد من أهدافه. فاللعب وسيلة للتعلم واكتساب الخبرات التي تؤهل الطفل لمواجهة متطلبات الحياة المستقبلية، وأداة لتفريغ الطاقة البيولوجية الزائدة عن الحاجة، ومن ثم استعادة الاتزان البيولوجي، وكذا تأكيد الذات والتعبير عنها والتسلية والترويح عن النفس بما يمنحه اللعب من راحة نفسية واستمتاع وسعادة.

ولقد بينت بعض الدراسات أن: "اللعب يكشف عن مدى التوافق الاجتماعي لدى الطفل، إذ ثبت أن الأطفال الذين مُنعوا من اللعب لفترة طويلة يُعانون اضطرابات في علاقاتهم الاجتماعية؛ كما ثبت أن اللعب يكشف عن الحالة الوجدانية للطفل، فالطفل السعيد هادئ العواطف يتعامل مع لُعبه بكيفية تختلف عن ذاك التعس مضطرب العواطف، فالطفلة التي تمسك بلعبها وتُشبعها ضرباً وتبكي، تُعبِّر من خلال ذلك عن معاناتها مع أمها أو مدرّستها، وتُريد أن تنتقم لنفسها من تلك اللعبة الجامدة". (سيد والشربيني، 1998، صفحة 252)

والجدير بالذكر أن مما يغلب على الثقافة الأسرية العربية عامة، أن الطفل يُلعب به ولا يُلاعب، فهو أداة تسلية، وكثير من الأمهات اللواتي ينجبن في سنّ متأخرة، بدعوى أن الطفل يُسلّيهن في كِبَرِهِنَّ، علاوة على مظاهر التسلط التي تعتري أطفالنا في لَعِبِهِم.

يقول"روسو":" إنّه في الوقت الذي تقول فيه الطبيعة للطفل اجر حواليك، يقول له المعلم اجلس ساكنا ولا تتحرّك؛ مع أن الأطفال بحاجة إلى أن يقفزوا ويصيحوا كلما راق لهم ذلك، وجميع حركاتهم هذه إنما هي في الواقع احتياجات بدنهم وتكوينهم الذي يريدون أن يتقوى بالنشاط والرياضة، فالطبيعة تتطلب أن يكون الأطفال أطفالاً قبل أن يصبحوا رجالا". (تركي، 1982، صفحة 133)

4.8 التخويف: من أجل تكوين نمط معين من السلوك عند الطفل، غالبا ما يقوم الأبوان بالاعتماد على قصص خيالية مُخيفة، تجعله في حالة قلق وتوتر دائمين. حيث تلجأ الأم إلى التخويف بالأب والحيوانات والغول، كي ينام الطفل أو يُطيع أو يهدأ، ومن تم ينتقل التخويف إلى التهديد بالضرب والعصا وبالمعلّم، كي يكون مؤدّباً، مطيعا وسلبيا. وفي هذا الصدد يقول "مصطفى حجازي": "تفرض الأم هيمنتها العاطفية على أطفالها، وتشل في نفوسهم كل رغبات الاستقلال، وتُحيطهم بعالم من الخرافات والغيبيات والمخاوف، فينشأ الطفل انفعاليا خرافيًا عاجزًا عن التصدي للواقع من خلال الحس النقدي والتفكير العقلاني". (حجازي، 1989، صفحة 126)

ويقول عالم النفس الفرنسي "بيير داكو": "إذا كانت العقدة النفسية بالتعريف هي مجموعة ذكريات وأفكار مشحونة بالانفعال، فإن التسلط التربوي يوجد في أصل هذه العقدة بصورة واضحة وقطعية". (داكو، 2007، صفحة 131)

5.8 توقعات وتطلعات الوالدين من أطفالهم: كثيرا ما ينتظر الآباء من أبنائهم تحقيق آمالهم المحبطة التي لم يستطيعوا هم تحقيقها. ويُحاولون تنشئة أطفالهم على صورتهم من حيث السلوك والمهنة وغير ذلك. وقد لا تتطابق الصورة التي ينتظرونها من أبنائهم مع الصورة الفعلية للأبناء، وفي هذه الحالة قد يكون العنف التربوي هو السبيل لإجبار الطفل على تمثل صورة مصطنعة غير سوية. ومن هنا يشعر الطفل بافتقاد الأمن والانتماء والقبول الاجتماعي نتيجة إخفاقه في الوصول إلى ما يتوقّعه أو يتطلّع إليه آباؤه؛ وتتنامى عنده كل مشاعر

الدونية، وعقد النقص، والقصور، والشعور بالذنب، مما قد يجعله عدوانيًا متمرّدًا، إذا ما ضاق ذرعًا.

6.8 العقوبة التربوية: يعتبر المربون التربية وسيلة لتنشئة الطفل على الإحساس بالكرامة الشخصية والعزّة النفسية. فقد رفضوا أن تتجاوز العقوبة حدود وظيفتها التقويمية لسلوك الطفل، وحذّروا من جعلها أداة لتخريب شخصيته وحرمانه من الإحساس بعزّة نفسه. وفي هذا قال "أبو حامد الغزالي" صاحب الإحياء: "للمعلم زجر المتعلم عن سوء الأخلاق ولكن بطريق التّعريض ما أمكن ولا يصرّح، وبطريق الرحمة لا بطريق التّوبيخ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويُورِّث الجرأة على الهجوم، ويهيّج الحرص على الإصرار". (الغزالي، د.ت، صفحة 19) غير أنه وعلى حد قول "شمخي جبر" فان: "التربية لدينا تقترن بالعقاب، حتى أصبح يطلق على الطفل كثير الحركة بأنه طفل -غَير مرَبّي- ويُقصد بهذه العبارة أنه لم يضرب بما فيه الكفاية، وهكذا يصبح الضرب بمختلف أشكاله طريقة مقبولة لضبط سلوك الأطفال (...) والواقع أن الطاعة في العائلة العربية هي نتيجة الخوف أكثر مما هي نتيجة الحب والاحترام". (شمخي، 2006، صفحة 24) إن استعمال العنف يقضي على شخصية الطفل ورجولته، وفي هذا يقول "ابن خلدون": "إن التعليم عندنا قائم على الإكراه لا على التشويق، وإرهاف الحد في التعليم مُضر بالمتعلِّم سيّما في أصاغر الولدان لأنه من سوء الملكة، ثم إن من كان مربّاه بالعسف والقهر من المتعلّمين والمماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيّق على النّفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمله على الكذب والخُبث والتظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي عليه بالقهر، وعلّمه المكر والخديعة وصارت له هذه عادة وجبلّة، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدّن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالا على غيره في ذلك، بل وكسلت النّفس عن اكتساب الفضائل والخُلق الجميل فانقبضت على غايتها ومدى إنسانيتها، فأرتكس وعاد أسفل السّافلين، وهكذا وقع لكلّ أمّة حصلت في قبضة القهر ونال

منها العسف، فينبغي للمعلم في متعلّمه والوالد في ولده، ألاّ يستبد عليهم في التّأديب". (خلدون، د.ت، صفحة 1042)

9. الإجراءات المنهجية للدراسة:

1.9 عينات الدراسة: العينة الأولى تكوّنت من 32 حدثا جانحا ذكرا، تراوحت أعمارهم بين 13-18 سنة، صدرت في حقهم أحكاما بالإدانة، تقضي بوضعهم تحت نظام الإفراج المراقب والحماية، بإشراف مصلحة الإدماج الاجتماعي أو مصلحة الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح. أما العينة الثانية: تكوّنت من 28 حدثا غير جانح ذكرا، تراوحت أعمارهم بين 13-18 سنة، لم يسبق لهم وأن ارتكبوا جرائم. وينتمون إلى أسر تدرك مدى خطورة النمط التربوي المتسلط.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الدراسة خصّت الذكور دون الإناث، لكون ظاهرة الإجرام في المجتمع الجزائري تتميّز بارتفاع حجم إجرام الذكور الذي يفوق بكثير حجم إجرام الإناث.

2.9 تقنيات البحث: الاستمارة: احتوت على 8 بنود، بحسب فروض الدراسة، و56 سؤالا. منها ما تم توجيهها للآباء، خاصة ما تعلق منها بالطفولة المبكرة، ومنها ما تمّ توجيهها للأطفال يجيبون عنها لوحدهم بحضور أخصائي مصلحة الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح بالنسبة لأطفال العينة الأولى، أما بالنسبة للعينة الثانية، فقد تمت الإجابة على أسئلة الاستبيان من قبل الآباء والأبناء، كل فيما يخصه، وبحضور الباحث.

10. عرض نتائج الدراسة (الجدول رقم 01)

	بنود الدراسة	ن	معامل الارتباط للاتفاق (c)	كا^2 التجريبية	كا^2 الجدولية	دلالة المعنوية عند 0.05
1	**الرضاعة (أربعة أسئلة).**					دالة
	كيفية الرضاعة	60	0.60	10.99	5.99	دالة
	التوقيت الزمني للرضاعة	60	0.60	3.58	5.99	غير دالة
	الحالة النفسية للأم أثناء عملية الرضاعة	60	0.60	8.81	5.99	دالة

	مدة الرضاعة	60	0.60	8.24	5.99	دالة
2	**الفطام (سؤالين).**					دالة
	كيفية الفطام	60	0.60	14.39	5.99	دالة
	طريقة الفطام	60	0.60	10.37	5.99	دالة
3	**التدريب على التخلص من الفضلات (5 أسئلة).**					دالة
	التوقيت الزمني للتدريب على التخلص من الفضلات	60	0.60	15.58	5.99	دالة
	نمط التدريب على التخلص من الفضلات	60	0.60	9.11	5.99	دالة
	كيفية التدريب على التخلص من الفضلات	60	0.60	16.23	5.99	دالة
	مدى قلق الوالدين من تأخر الطفل في قدرته على ضبط عملية الإخراج	60	0.60	10.30	5.99	دالة
	تصرف الوالدين عندما يتبول الطفل في الفراش أثناء النوم	60	0.60	14.90	5.99	دالة
4	**اللعب (ثلاث أسئلة).**					دالة
	رغبة الوالدين في أن يكون طفلهم كثير، قليل الحركة أو ساكن	60	0.60	31.83	5.99	دالة
	مدى مشاركة الوالدين طفلهم في اللعب	60	0.60	18.20	5.99	دالة
	مدى توتر وقلق الوالدين أثناء لعب أطفالهم	60	0.60	8.74	5.99	دالة
5	**اعتماد الوالدين أسلوب التخويف في التربية (ثلاث أسئلة).**					دالة
	مدى انتهاج الوالدين أسلوب التخويف في التربية	60	0.60	36.09	5.99	دالة
	مدى لجوء الوالدين إلى الضرب إذا لم يفلح التخويف	60	0.60	27.68	5.99	دالة
	مدى لجوء الوالدين إلى تهديد الطفل بقطع أذنه أو أنفه	60	0.60	24.49	5.99	دالة
6	**مدى تطلعات الوالدين نحو طفلهم (أربعة أسئلة).**					دالة
	مدى تطلعات الوالدين ليحقق طفلهم أهداف لم يحققانها في حياتهم	60	0.60	7.69	5.99	دالة
	مدى تأثر العلاقة بين الوالدين والطفل عندما لا يحقق الأهداف المرجوة منه	60	0.60	15.48	5.99	دالة
	مدى تصرف الوالدين بشدة تجاه الطفل عندما لا يحقق الأهداف المرجوة منه	60	0.60	18.58	5.99	دالة
	مدى تطابق الصورة التي ينتظرها الوالدين من الطفل مع الصورة الفعلية له	60	0.60	18.51	5.99	دالة
7	**النمط التربوي للوالدين (عشرون سؤالا).**	60	0.60	22.13	5.99	دالة

	بنود الدراسة	ن	معامل الارتباط الثنائي (رث)	t التجريبية	t الجدولية	الدلالة المعنوية عند 0.05
8	**مستوى الصحة النفسية (خمسة عشرة سؤالا)**	60	- 0,77	6,16	1,96	دالة

11. تحليل النتائج في ضوء فروضها:

* الفرضية الأولى: توجد علاقة ارتباطيه موجبة ودالة إحصائيا بين متغير الرضاعة ومتغير الإجرام، بحيث كلما تمّت الرضاعة بشكل طبيعي، أي عن طريق ثدي أم مرتاحة وهادئة نفسيا ولفترة حولين أو نحوهما وفي كل لحظة يعلن فيها الرضيع عن حاجته، كلما سَلِمَ الطفل من الوقوع في الجريمة.

فالدراسات العلمية أثبتت أن التغذية ليست السبب الرئيسي في تكوين الرابطة بين الرضيع وأمه، بل إن احتضانه وملامسته والنظر إلى عينيه خلال فترة الرضاعة، تقوي الرابطة بين الرضيع وأمه، وتشعره بالاطمئنان والأمن. حيث يؤكد علماء النفس على أن: "الوليد يجد في رضاعته الغذاء والحنان، ومن ثمّ تعتبر الرضاعة عملية جسمية ونفسية معا، إذ تتركّز انفعالات الطفل في سنته الأولى حول الفم ونشاطه، فللرضاعة دورا هاما في النمو النفسي للطفل من حيث اتّزانه الانفعالي أو من حيث اضطرابه الوجداني. ومن هذه الزاوية وغيرها ينادي كثير من المربين بضرورة أن تتولى الأم إرضاع طفلها من ثديها مادامت قادرة، وألاّ تستبدل بثديها الإرضاع الصناعي". (آدم و حداد، 1973، صفحة 23)

* الفرضية الثانية: توجد علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائيا بين متغير الفطام ومتغير الإجرام، بحيث كلما تمّ الفطام بصفة تدريجية وطبيعية كلما قلّ عدد المجرمين. حيث أن "عملية الفطام، إلى جانب ضرورة التّدرج فيها، تحتاج إلى قدر كبير من الكياسة مع زيادة الحنان الأبوي في هذه الفترة ليشعر الفطيم أنه مازال في مركز المحبوب". (آدم وحداد، 1973، صفحة 24) ثم إن الدراسات أثبتت أن الشغل الشاغل للطفل الرضيع لفترة من الزمن هو الأكل والإخراج، ويجد الطفل من عملية مص الثدي لذّة كبرى، ومن هنا فإن

حجب الثدي فجأة يرتبط في ذهن الطفل بسحب اللّذة ويشعره بالحرمان. فالرضيع في بادئ الأمر لا يفرّق بين جسمه والأجسام الخارجية، فهو بذلك يَعدُّ الثدي جزءا من كيانه، ومن ثمّ فإن سحبه بطريقة غير سليمة قد يُعرّض الطفل لحالة قلق حادّة قد تسبّب له اضطرابات نفسية عنيفة تؤثّر على سلوكه مستقبلا.

* الفرضية الثالثة: توجد علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائيا بين متغير تدريب الطفل على التّخلص من الفضلات ومتغير الإجرام، بحيث كلما كانت طريقة التدريب على قضاء الحاجة قاسية، كلما زاد عدد المجرمين.

إن الحقيقة التي يجب الوقوف عليها هي أن الأطفال لا يستطيعون التّحكم في التّبول والتّبرز إلا بعد أن تكون أجهزتهم المتعلّقة بأداء هاتين العمليتين قد نضجت، وهذا ما يجعل عامل النّضج ذا أهمية. خاصة وأن الدراسات أثبتت أن: "المركز المخّي المسيطر على المثانة لا يبدأ في أداء وظيفته في الأشهر الأولى من الحياة، وأن الأمهات يحاولن عبثا، إذا لم يبلغ الطفل مرحلة النّضج العصبي، ويبدو قادرا على التّحكم الإرادي في عملية إفراغ المثانة". (آدم وحداد، 1973، صفحة 27) وإذا فهم الآباء والمربّين هذه الحقيقة وربطوا عملية التّدريب بالنّضج، فإنهم سيتفادون الكثير من الصعوبات في المستقبل.

كما أثبتت الدراسات أن: "التدريب المفرط بقسوة يترك آثارا مستديمة على شخصية الفرد، فالوليد الذي يُعاقب بشدة أثناء تدريبه يكون في المستقبل متردّدا لعمل أي اختيار يلاقيه ولا يتّفق مع رغبة والديه". (سيد و الشربيني، 1998، صفحة 43)

* الفرضية الرابعة: توجد علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائيا بين متغير اللّعب ومتغير الإجرام، بحيث تبين النتائج أن اللعب ظاهرة صحية في حق الطفل، فالآباء الذين لا يَضِيقُون ذرعاً بكثرة حركة أطفالهم ويحرصون على مشاركتهم في لعبهم ولا يبالغون في القلق عليهم أثناء لعبهم، يساهمون مساهمة فعّالة في النمو السوِي لأطفالهم بعيدا عن الاضطرابات النفسية التي تؤثّر سلبا على الطفل في طفولته المتأخرة.

كما يرى المختصون أن: "اللعب يحتل مكانة عظمى في حياة الطفل، بل أنه الوظيفة الحقيقية للطفولة، حيث تمارس من خلالها نشاطها العفوي التلقائي. واللعب عند الطفل هو الجِدّ بعينه لأنه الوسيلة الأساسية للتّعلم واكتساب الخبرات وتكوين المدركات. ومن خلال وظيفة اللعب يحقق الطفل كل ما توصل إليه من إمكانيات جسمية وعقلية ووجدانية واجتماعية، أي أنه يحقّق من خلال اللّعب شخصيته النامية بكل أبعادها وجوانبها. ومن ناحية أخرى، فإن الطفل يبدو كما لو كان يُعِدُّ نفسه ويهيّئها بما يجرّبه من تجارب وتدريبات داخل عالمه الخاص للدخول بعد ذلك إلى عالم الكبار الحقيقي".(آدم وحداد، 1973، صفحة 49-50)

وقد ذهب بعض علماء التحليل النفسي مثل "جارفي" إلى تشبيه اللعب بالحلم، واستخدموه في تشخيص الاضطرابات النفسية التي يُعاني منها بعض الأطفال. (سيد والشربيني، 1998، صفحة 252)

* **الفرضية الخامسة:** توجد علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائيا بين مدى انتهاج الوالدين أسلوب التخويف ومتغير الإجرام. حيث أنه كلما زاد اعتماد الآباء على أسلوب التّخويف والتّهديد، كلما زاد عدد المجرمين.

إن أسلوب التخويف الذي كثيرا ما يلجأ إليه الأبوان في تربيتهم من أجل تكوين نمط من السلوك عند الطفل، يجعل هذا الأخير في حالة قلق وتوتّر دائمين، ويقتل فيه روح المبادرة والإقدام وميول الإبداع والنّقد واتجاهات التّفكير الحر السّليم، كما ينشأ الطفل انفعاليا عاجزا عن التّصدي للواقع.

يقول "علي وطفة ": "إن التربية العربية لا تُعِدُّ الطفل لكي يقارع ويناقش بمقدار ما تنمي فيه الالتواء والازدواجية والاعتماد على الكبار، فيما يتعلق بالأدوات، تكون العصا والأب والحيوان والشيطان، أدوات قمع للطفل، مثيرات للرعب وتؤدي في النهاية إلى قتل روح النّقد والإبداع واغتيال الحرية في نفوس الأطفال". (وطفة، 1999، صفحة 130)

* الفرضية السادسة: توجد علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائيا بين مدى تطلّعات الوالدين نحو أطفالهم ومتغير الإجرام. من خلال البيانات المستقاة من الدراسة الميدانية، تبين أنه كلما كانت تطلّعات الوالدين مُلحّة وقوية ولم يتمكن الطفل من تحقيقها، تجلّى لهم عدم تطابق الصورة الفعلية له مع الصورة المنتظرة منه، مما يؤدي إلى خيبة آمالهم وسوء علاقتهم بطفلهم وبالتالي اللجوء إلى الغلظة والشدة معه، ومن هنا يشعر الطفل بعدم الأمن والانتماء والقبول الاجتماعي، وهذا يُنمّي عنده كل مشاعر الدونية وعقد النقص والقصور والشعور بالذنب، مما قد يجعله عدوانيا متمردا أو حتى جانحا.

* الفرضية السابعة: توجد علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائيا بين النمط التربوي للوالدين ومتغير الأجرام، حيث أن معظم آباء الأحداث المجرمين متسلّطون، على عكس آباء الأحداث الغير مجرمين، ولعلّ هذا يتّفق مع الاعتقاد السائد عند كثير من الآباء، بأن التربية الجيدة للأطفال تعني الحد من حريتهم، إرغامهم، ابتزازهم، إقصاء آرائهم، تجاهلهم، تهديدهم، تحقيرهم، ضربهم والتشديد عليهم. فمن خلال البيانات المتحصّل عليها في بند النّمط التربوي للوالدين، تبين أن آباء الأحداث المجرمين:

- كانت تدخلاتهم في تصرفات أبنائهم مفرطة بحيث ينتقدونهم بصورة دائمة ويتربّصون بهم في كل حركة تصدر منهم أو كلمة يتفوّهون بها، ويلجؤون إلى لغة الابتزاز وذلك بربط المكافأة بالعمل ومنعها إذا لم يتحقّق العمل، وكل هذا ولّد لديهم الإحساس بالإحباط وخيبة الأمل وانتزع منهم الثّقة بقدراتهم، وأشعرهم بالخوف الدّائم من القيام بأي عمل أمام الآخرين، وقتل فيهم روح المبادرة والتّلقائية.

- كانوا لا يصغون لأطفالهم بالرغم من أن فن الاستماع للطفل هو أهم قناة تنقل أواصر المحبة بين الوالد وابنه، وتعبر للطفل عن الاهتمام والانتباه له، ثم إنّ الإصغاء للطفل تجعل الآباء قادرين على فهم أبنائهم في مراحل عمرهم، ولاسيّما عندما يصلون إلى سن المراهقة، ثم إن تخصيص وقت للطفل أساسي لإشباع حاجته للاعتبار، ولذلك يجب الإصغاء إليه عندما

يتكلم والجلوس معه ومحاورته. "رأى مرّة ولد صغير، أباه يُلمّع سيارته، فسأله: بابا إنّ سيارتك تساوي الكثير، أليس كذلك، فأجاب الأب: بلى إنها تساوي الكثير، وتساوي أكثر إذا اعتنينا بها، فعندما نبيعها تحرز ثمنا أغلى، فأطرق الصبي لحظة ثم قال: بابا اعتقد أنني لا أساوي كثيرا". (أبو السعد، 2001، صفحة 17)

- لا يشركون أبناءهم في إيجاد الحلول للمشاكل التي تواجههم مع العلم أن إشراك الطفل في إيجاد حلول للمشاكل التي تواجهه تنمّي فيه شعوره بالقيمة الذاتية، وثقة الآخرين فيه. فالطفل بحاجة إلى أن يتعلّم كيف يتّخذ قراراته الشخصية، ويحل مشاكله، ويواجه الأحداث والمستجدات، مهتديا بما تعلّمه من توجيهات ونصائح الوالدين دون أن يكون معتمدا كلّية على الكبار.

- يهتمون بعيوب أطفالهم أكثر من حسناتهم، وتجدهم سبّاقين إلى التوبيخ واللّوم والتحقير إذا ما رأوا ما لا يرضيهم من أبنائهم، وبالتالي تغيب كلمات المدح والتّشجيع، مما يدعو إلى الخيبة وفقد الثّقة، والإحباط لدى الأطفال وشعورهم بأنه غير مرغوب فيهم.

"اعتادت بنت صغيرة أن تذهب إلى المدرسة كل صباح ويداها متّسختان، ولم تشأ المعلّمة أن تجرح شعورها فقالت لها: "ما أجمل يديك لماذا لا تذهبين وتغسليهما لكي يرى الجميع جمالهما؟ فذهبت الصغيرة مبتهجة وغسلت يديها وعادت مشرقة الوجه، ثم مدّت يديها أمام المعلمة مفاخرة، ضمّتها المعلّمة إليها وقالت: صحيح ما أجملهما، أرأيت الفرق الذي نتج باستعمال قليل من الماء والصابون، وبعد ذلك صارت الفتاة تأتي إلى المدرسة كل يوم أنظف ممّا قبله حتى أصبحت من أكثر التلميذات ترتيبا". (أبو السعد، 2001، صفحة 39)

- لا يصرحون بحبّهم لأبنائهم مع العلم أن المحبة إحساس وشعور، وحقيقة هذا الإحساس تنبع من القدرة على نقلها لمن تحب، فلا يكفي أن يحب الوالد أبناءه، ولكن لابد أن يفصح لهم عن هذه المحبة وينقلها لهم عمليا من خلال التّعبير اللفظي أو من خلال المداعبة واللمسة الحنونة والابتسامة الهادئة والنظر المباشر.

- لا يعتذرون من أطفالهم إذا أخطئوا في حقّهم، فهم يظنّون أنّ الاعتذار سيهدّد مكانتهم عندهم وسيجعل سلطتهم عليهم أضعف، في حين أن ذلك يعلّم الأطفال فضيلة الاعتذار، ويعلّمهم أنه حتى الكبار قد يخطئوا أحيانا، ممّا يزرع الثّقة في أنفسهم ويحميهم من التّشتت، والذّعر في أيّ تصرّف خطأ.

- يبنون علاقاتهم بأبنائهم على أساس الأعلى بالأدنى والأقوى بالضعيف وعلى أساس اعتبارات ثقافية نابعة من أمثال شعبية خاطئة تحثّ على القسوة، الغلظة والشدة في العقاب. وفي هذا الصدد ذكر "إبراهيم الفقي" في محاضرة له أن رجلا في الو.م.أ قتل إثنا عشرة امرأة، وعندما سئل عن السبب قال لأنهن كن يُشبهن إلى حدٍّ كبير أمّه التي كانت جدّ متسلّطة، خبيرة في فن الضرب والإهانة، وأضاف قائلا: لو أطلقتم سراحي فسوف أقتل كل امرأة تشبهها.

- إن العقاب جزء هامشي في عملية التأديب ولا يلجأ إليه إلا في الحالات النادرة وعند الحاجة، أما التّأديب فهو أوسع من ذلك بكثير، فهو تعليم وتهذيب وتدريب وترغيب وترهيب وتشجيع وتفسير وتبرير ورسم للحدود ووضع للضوابط. يقول " أبو السعد": "إن الطفل نفسيا يرفض ويكره ولا يحترم من يتركه دون حدود وضوابط، وضرب لذلك مثالا فقال: "اشترى أحد المعلّمين حوض سمك كبير وملأه ماء، وبعد تعديل حرارته لتناسب السمك البيتي، وضع فيه بعض الأسماك، فإذا بها تتصرف تصرفاً غريباً ثم تتجمع في وسط الحوض الشفاف وهي لا تكاد تتحرك، وبعد بضعة أيام وضع أحجاراً ملوّنةً في قعر الحوض وإذا بالأسماك تعود إلى التحرك بحرية، فالأحجار في قعر الحوض أوضحت عمق الماء، وهكذا عرف السمك حده فاستراح في حركته". (أبو السعد، 2001، صفحة 71-72)

- يتخاصمون أمام أطفالهم غير مدركين أنّ الجو المشحون بالخصام وكثرة النّزاعات والتّوتر الدائم يحول بين الطفل وتحقيق الطمأنينة في حياته.

- يعتبرون الطفل الذي يناقش ويعارض ويدلي برأيه ويكثر من طرح الأسئلة أنه جريء، وَقِح، لابد من زجره وإيقافه عند حده، ومن هنا فهم يرفضون آراء أبنائهم باستمرار ولا يسمحون لهم بإبداء وجهات نظرهم وطرح أفكارهم، الأمر الذي يشعرهم بالإحباط والخيبة وعدم الاهتمام برأيهم وشخصهم، مما يسقطهم في الاعتمادية الدائمة والتّبعية المفرطة ويفقدهم الثقة في أنفسهم.

- يحرصون على رؤية النتائج بأسرع وقت ممكن ولو على حساب مستقبل وشخصية أطفالهم، ومن أجل ذلك فهم يلجئون إلى وسائل سلبية لتأديب أبنائهم من مثل العنف والشدة والقسوة والسخرية. وفي هذا الصدد يقول "مصطفى أبو السعد": "يؤكد علماء التنمية البشرية على أن البرمجة الإيجابية لسلوك الطفل بحاجة إلى متابعة وبرمجة على المدى الطويل، وهذا هو الطريق الصواب لتأديب إيجابي وتربية حسنة، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول:" مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع" (المسند/6756- قال الشيخ الألباني:حسن صحيح)، فمن هذا الحديث الشريف يتبين أنه لبرمجة الطفل الإيجابية على الصلاة يلزم ثلاث سنوات.(5475) صلاة مرت على الطفل، و(5475) وقت انتظم فيه الطفل، وهذا العدد من التكرار يعد كافيا بشكل كبير لبرمجة الطفل على إقامة الصلاة، اعتقادا وممارسة وإدارة للوقت نظاماً وانتظاماً". ومن هنا فإن قصر النظر من أهم آفات التربية، وكل تربية تقتصر على النتائج القريبة غير حاسبة حسابا للنتائج البعيدة لَهي تربية ضارة أشد الضرر سواء كان ذلك في الحياة الفردية أو الاجتماعية.

* <u>الفرضية الثامنة</u>: توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا وعكسية بين مستوى الصحة النفسية لدى الطفل ومتغير الإجرام. أي أن الأحداث المجرمين تحصلوا على درجات صحة نفسية منخفضة مقارنة بأقرانهم من الأحداث الغير مجرمين، والعلّة في ذلك هو عدم إشباع حاجاتهم الأساسية في طفولتهم المبكرة. يقول "أبو السعد": "تؤكد الدراسات العلمية الدقيقة

أن عدم تلبية الحاجات الأساسية في حياة الطفل تدفعه لسدها بطرق مغلوطة وغير مقبولة في أحيان كثيرة. ثم أن عدم تلبية حاجات الطفل الأساسية ينتج عنه أحد الأمرين: إما الانطواء على الذات والهروب والانكماش والشعور بالإحباط وهذه كلها طرق لضعف الشخصية، أو العدوانية لتلبية هذه الحاجة النفسية.

كما أن النّظريات العلمية تؤكد حاجات الإنسان المتعددة كنظرية الحاجات "لماسلوه" ونظرية حاجات الإنجاز "لمكولاند" ونظرية الدوافع "لهرتبرجر". (أبو السعد، 2001، صفحة 39) ومن أهم الحاجات النفسية للطفل نذكر: الحاجة إلى الأمن والطمأنينة، الحاجة إلى الحب والانتماء، الحاجة إلى الاعتبار والحاجة إلى تحقيق الذات. فمن درجات الصحة النفسية المتحصل عليها تبين:

- أن معظم الأحداث المجرمين على عكس أقرانهم من غير المجرمين لم تشبع حاجتهم إلى الطمأنينة والأمن، جرّاء الخوف من آبائهم وتوتّر أعصابهم لما يتعرضون له من الإهانة، والتحقير، والضرب، والشتم.

- أن معظم الأحداث المجرمين لم تشبع حاجاتهم إلى الحب والانتماء نظرا لشعورهم بالحرمان من العاطفة والدّفء الأسري منذ صغرهم، مما أدى إلى انعكاسات خطيرة على شخصيتهم تبدأ من التقوقع والانطواء على الذات وتنتهي بالانحراف، على عكس الأحداث غير المجرمين الذين غمرهم آباؤهم بالمحبة والحنان والدّفء الأسري.

- أن معظم الأحداث المجرمين كثيرا ما يشعرون بأن حياتهم مملة وأنه لا فائدة من حياتهم ولا يشعرون بالاحترام والتقدير من آبائهم، كما أنهم ليسوا محل اهتمام أحد، لأنهم ليسوا ذو جدارة وكفاءة. والجدير بالذكر أن الطفل الذي يشعر بفقدان الشعور بالاعتراف والمكانة بين الآخرين قد يلجأ للعديد من السلوكيات المزعجة كالعناد والكذب والتخريب لإشباع حاجته إلى الاعتبار، وهذه السلوكيات تحتاج إلى الانتباه وتدارك أسبابها

ودوافعها، ولا ينبغي مواجهتها بالتجاهل والضرب والعقاب حتى لا تستفحل وتتطور أكثر.

- أن معظم الأطفال المجرمين عديمي الثقة بأنفسهم، لا يستطيعون اتخاذ القرارات التي تخصّهم، ولا يبدون وجهة نظرهم ولا يستطيعون إنجاز أعمالهم بمفردهم.

خاتمة:

تشكل مظاهر التسلط التربوي السالفة الذكر إحدى النماذج المتعددة التي تعتمدها الأسرة في عملية تشكيل السلوك لدى الطفل، رغم أن تَبَنّي مثل هذا النموذج التربوي المتسلط لا يمكن له أن يكون مقصودا من قبل الآباء والأمهات، إنما يجري ذلك بشكل عفوي، وبحكم العادة وجهل النتائج المترتبة على ذلك. وهي حسب ما تقدم معنا من الخطورة بمكان، على اعتبار ما للطفولة كمرحلة نمو نفسي من الأهمية بالنسبة لمراحل النمو المقبلة، من حيث أنها الأساس الذي تبنى عليه جميع مكونات الشخصية في بقية مراحل العمر. فالطفولة البشرية بجهلها وضعفها من جهة، واندفاعها نحو النمو من جهة أخرى، تمثل مرحلة حساسة بالنسبة لنمو الشخصية في الطريق السوي أو اللاسوي، وفقا لما يتعرض له الفرد في هذه المرحلة من حماية ورعاية واهتمام، أو إساءة وإهمال وحرمان. فإحباطات الطفولة المبكرة كثيراً ما تؤدي إلى سلوكيات منحرفة قد تصل إلى حد الإجرام، ومن هنا كانت التربية علماً وفناً ينبغي الإحاطة بهما بعيداً عن الارتجال والتجريب.

وعليه، فإن الوصول إلى شخصية متكاملة ذات سلوكيات سوية بعيدة عن أي شذوذ أو انحراف، يتطلب نمطا تربويا سليما، يأخذ بعين الاعتبار طبيعة النفس البشرية ومكوناتها. ذلك أن الإنسان كل متكامل وإذا حدث أي اضطراب أو نقص في أي مرحلة من مراحل النمو، أدى ذلك إلى اضطراب في النمو وفي الأداء الوظيفي للشخصية ومن ثم السلوك. فطفل اليوم هو رجل الغد، والطفل الذي لا يتلقى التربية الحقيقية في صغره قد يصبح المجرم الخطير في المستقبل.

ومن هنا فالأسرة مطالبة بعدم الاكتفاء في تربية فلذات أكبادها بالرعاية، فالتربية أكبر من مجرّد توفير المأكل، المشرب، الملبس، المأوى وأسباب الصحة. وإنما عليها أن تتعهد

الطفل في شخصيته ككل، أي في جميع جوانبها، الجسمية، العقلية، الوجدانية والاجتماعية، بما يكفل له التكيف الاجتماعي والنفسي السليم، ويضمن له التوافق مع معايير المجتمع الذي يعيش فيه، حتى يتحقّق الهدف المنشود من التربية، وهو خلق الشخصية السوية الناضجة والمتكاملة. بعيدا عن كل انحراف أو جنوح.

قائمة المراجع:

أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. (د.ت). *إحياء علوم الدين*. دمشق. درويشية.، سوريا: مكتبة عبد الوكيل العروبي.

أحمد عبد المجيد سيد، و زكرياء أحمد الشربيني. (1998). *علم نفس الطفولة: الأسس النفسية والاجتماعية والهدي الإسلامي*. القاهرة: دار الفكر العربية.

بشير معمرية. (2007). *بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس. منشورات الحبر. بني مسوس. الجزائر*.

بيير داكو. (2007). *الانتصارات المدهشة لعلم النفس*. (بوجاني محمد الشريف، المترجمون) عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر.

جبر شمخي. (11 03, 2006). الطفل والتسلط التربوي في الأسرة والمدرسة. *الحوار المتمدن، 1*(1186)، صفحة 24.

جواد رضا محمد. (1993). *العرب والتربية والحضارة: الاختيار الصعب. ط1. بيروت. لبنان. مركز دراسات الوحدة العربية*.

رابح تركي. (1982). *النظريات التربوية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

صالح علي الزين وزهري، زينب محمد، 1996، قضايا في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، أطر نظرية وأسس منهجية وتطبيقية، ط1، بنغازي، منشورات جامعة قان يونس.

الصنيع. صالح بن ابراهيم بن عبد اللطيف. (1419). *التدين علاج الجريمة.، ط2. الرياض. مكتبة الرشد*.

عبد الرحمان بن خلدون. (د.ت). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. (المقدمة). الجزء الأول. الفصل الأربعون. في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم.* دون بلد النشر: دون دار النشر.

علي أسعد وطفة. (1999). *بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي.* بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

محمد سلامة آدم، و توفيق حداد. (1973). *علم نفس الطفل للطلبة المعلمين والمساعدين في المعاهد التكنولوجية للتربية.* الجزائر. وزارة التعليم الابتدائي والثانوي.

مصطفى أبو سعد. (2001). *التربية الإيجابية من خلال إشباع الحاجات النفسية للطفل.* مركز الراشد.

مصطفى حجازي. (1989). *التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور. الدراسات الإنمائية، علم النفس.* بيروت. معهد الإنماء العربي.